توظيف إعجاز القرآن بالإيجاز لاكتساب ملكة القصد باللفظ مع الوفاء بالمعنى

د/مالك بوعمرة سونة

أستاذ محاضر أ

جامعة البليدة 2

تاريخ الاستلام: 2019/05/13 تاريخ القبول:2019/09/23

الملخص :

نحن نعيش في عصر مازلنا نسمع أنه «عصر السرعة» يقصر فيه الوقت مهما يكن طويلا عما نحتاج إلى أن ننهض به من واجبات ضاقت بسببها الأوقات! وهذا كله يحملنا على أن نؤثر «الإيجاز» على «الإطناب»، ونقصد إلى ما يلائم وقتنا القصير وعملنا الكثير، للاستمتاع بلذات الأدب الخالص، والفن الرفيع، مما «قل ودلّ ولم يملّ!» .

ولأن بلوغ النهاية في ذلك مستحيل في حقنا نحن البشر، فإن الكل يحاول أن يصل فيه إلى أقصى ما يمكنه الوصول إليه، وقد كتب الإمام الشيخ محمد عبده رسالة أطال فيها وأطنب وأسهب، ثم اعتذر في آخرها عن الإطالة لأنه لم يكن لديه وقت لكي يوجز! [1]

ولا يعلم كلام موجز مع بلاغة، كان فيه اللفظ بالنسبة للمعهود أقل من المعروف في العادة مثل القرآن الكريم، وهو الكلام الذي من شأن من أدمن النظر فيه والبحث أن يقتبس أثرة من نوره فيخلص كلامه من كثير من التطويل، ويصل به إلى المعاني الواسعة الشريفة في أوجز لفظ وأنقاه، وهذا ما سنحاول إيضاحه في هذا البحث إن شاء الله.

المنارة للاستشارات

الملخص بالإنجليزية

People still consider that we are living in ‘ an era of speed’. Time seems shorter though it is longer than what we need to assume our duties. In fact the latter have multiplied narrowing our time. This is why we feel obliged to favorite being brief and concise rather than being redundant seeking to adapt our situation to our lack of time and burdens of duties. It would help us enjoy pure literature and fine arts. Thus obeying the rule ‘concise and precise to avoid boredom’.

Since we humans can never be able to achieve this desired goal, everyone is trying hard to go as further as possible. Echeikh Mohamed Abdu once wrote a very long and exhaustive letter and finally apologized for its length explaining that he did not have time to be brief and concise.

No discourse can be as eloquent, even though concise, as the Qu’ran. In fact, anyone who addicts to its study will at the end reach wider and noble meanings going beyond the ones expressed by the most concise and purest term. This is what the researcher will try to make clearer through this paper.

نص المقال:

كان أول نشأة هذا المصطلح [إعجاز القرآن] في القرن الثاني للهجرة على يد المتكلمين الذين انبروا يدافعون عن القرآن ويردون أباطيل أهل الزيغ، ولعل أول من تولى ذلك هو الجاحظ، لا سيما في كتابه " نظم القرآن"[(2)].

ومع إقرار المحققين في علوم القرآن أن أوجه إعجاز القرآن متعددة ومتنوعة لا تنحصر في نوع واحد، _حتى قال الزركشي بعد أن ذكر أحد عشر وجها من أوجه إعجازه المختلفة: "الثاني عشر: - وهو قول أهل التحقيق-: إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده... فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق"[(3)]_ ، فإنهم مسلمون بأن أعظم وجوه إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني، لأنه هو الذي تحدى الله به البشر – مجتمعين ومفترقين– على الإتيان بمثله، لِيُعْلَمَ من عجزهم عن ذلك أنه كتاب حق وأن الرسول الذي جاء به صادق.

المنارة للاستشارات

وفضلا عن الاتفاق على أن الإعجاز البياني هو أهم أوجه الإعجاز، فإن أغلب الكتاب في مجال إعجاز القرآن متفقون على أن أحد أهم وجوه إعجازه البيانية هي اختصار الكلام مع الوفاء بالمعنى وهو المشهور عند البلاغيين بالإيجاز الذي جعله كثير منهم حدا للبلاغة، فقالوا: البلاغة إيجاز، وهو ما سنحاول إظهاره في هذه الورقة البحثية بحول الله تعالى، وقبله نذكر بعض أوجه الإعجاز البياني الأخرى بشيء من الاختصار.

أهم أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

وجوه إعجازه بمخالفته لكلام البشر وذلك من أوجه متعددة نذكر منها:

1– خروجه عن المعهود من كلامهم:

وذلك بإقرار البلغاء والفصحاء الذين بهرتهم روعته وتحيروا في وصفه، مع كونهم وصلوا في معرفة اللغة إلى الغاية، وفي محبة إبطاله إلى النهاية.

2– سلامته من الاختلاف والتفاوت في الفصاحة:

رغم تنوع مواضيعه واختلافها، وأبلغ البلغاء لا يمكنه المحافظة على مستوى بلاغته، خاصة عندما ينتقل بين المعاني والموضوعات، فقد تجد شاعرا مجيدا في الغزل لكنه لا يحسن الوصف، وتجده قويا في الهجاء ضعيف في المدح أو العكس، فيحسن تارة ويخفق تارات أخرى.

3– شمولية خطابه للعامة والخاصة، والأذكياء والأغبياء، مع أن المتكلم إذا رام إرضاء الخاصة اتهمته العامة بالتعقيد والغموض، وإذا قصد إرضاء العامة اتهمته الخاصة بالسطحية والابتذال، أما القرآن فيسع الجميع.

4– مخاطبته للعقل والعاطفة:

وقلَّ أن يجتمع هذا في الكلام الذي هو من جنس واحد، ومن أمثلة ذلك جمعه بين **الإقناع** الذي ينتسب إلى العقل والفكر **والإمتاع** الذي يتصل نسبه بالعاطفة والمشاعر، فمن حيث الإقناع تجد البرهان القاطع، والدليل الساطع، والحجة الدامغة. ومن حيث الإمتاع تجد

المنارة للاستشارات

روعة التأثير، وصدق الانفعال، والتصوير البارع. وهذا في القرآن كله لا في موضع منه، ولو لا أن الورقة البحثية تختص بمجال الإيجاز كما سيأتي لضربنا لذلك أمثلة كثيرة.

5– الترابط بين أجزائه:

وهذا من أوجه الإعجاز اللغوي العجيبة، فإن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، وإنما منجما لحكم كثيرة، وكثيرا ما تجتمع الآية المكية مع المدنية – مع ما بينهما من فاصل زمني– في تجانس لا قبل للبشر به، ويتجلى هذا الربط بين الجمل، وفي الانتقال من معنى إلى معنى ثم في ترتيب هده المعاني نفسها، قال الأستاذ عبد الله دراز – رحمه الله – : " ... لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية

معجزات ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات"[4].

6– جمعه بين الجزالة والعذوبة، فبينما تجد كلماته تقرع القلوب وتصدع الأفئدة وتصخ الآذان وهذه هي الجزالة، فإنك مع ذلك تجد الفرح المؤنس وروعة الرجع، وجمال الوشي، تجد هذا بوضوح عند قراءة سورة الحاقة مثلا أو سورة الإنسان.

7– جمعه بين الإجمال والبيان:

وهذا غير الإيجاز والاطناب، ذلك أنك حينما تقرأ الآية القرآنية تشعر أنها مبينة لا تحتاج إلى مزيد قول ولا إلى كثير شرح، حتى إن الشيخ أبا زهرة نقل عن بعض شيوخه بأن القرآن ليس في حاجة إلى تفسير، ولكنك إذا أنعمت النظر وجدت أن هذه الآية المحكمة المجملة، بحر لا ساحل له من المعاني والتأويلات الصحيحة. "[5]

اقرأ قوله تعالى: {**والله يرزق من يشاء بغير حساب**} البقرة، 212، وانظر هل ترى كلاما أبين من هذا في عقول الناس، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة، فإنك لو قلت في معناها: إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه، ولا سائل يسأله لماذا يبسط

المنارة للاستشارات

الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء، أصبت. ولو قلت: إنه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد، أصبت. ولو قلت: إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر، ولا يحتسب، أصبت. ولو قلت: إنه يرزق بغير معاتبة ومناقشة له على عمله، أصبت، ولو قلت: يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر وحساب، أصبت[6]

-الإعجاز بالإيجاز في القرآن الكريم [الوفاء بالمعنى مع القصد في اللفظ]

قال الثعالبي: وإذا كانت هناك مواقف يحتاج فيها إلى إشباع المعنى، وتوكيده، وتكريره، حيث يحتاج البليغ إلى الإطالة والإسهاب، فإن هناك مواقف يحتاج فيها إلى الاختصار والإيجاز! هذا، وأكثر ما عليه الناس فى «البلاغة» أنها: «الاختصار، وتقريب المعنى بالألفاظ القصار» وقد سئل بعضهم عن البلاغة فقال: «هي لمحة دالّة!».
وهذا مذهب العرب، وعادتهم فى العبارة، فإنهم يشيرون إلى المعاني بأوحى إشارة! ويستحبون أن تكون الألفاظ أقلّ من المعاني في المقدار والكثرة.[7]

وإنما كانت عادتهم كذلك لأنهم لم يكونوا أهل قراءة وكتابة، بل كانوا أهل بيان باللسان، وقد صقلت بذلك كلماتهم وهذبت عباراتهم، وقد قال الجاحظ: "إن الإيجاز في القرآن كان عند محاجّة العرب الأميين الذين يفهمون القول بالكلمات المشيرة غير المفصلة، والتفصيل من شأن من يعتمد على الكتاب دون اللسان".[8]

والإيجاز يقابله الإطناب وكلاهما من البلاغة، لكن لكل واحد منهما موضعًا، يكون به أولى من الآخر، لأنَّ الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم، إلا أننا اخترنا الإيجاز لأنه أبلغ ما تحدى به القرآن العرب أهل الفصاحة، ولأنه الغاية التي يقصد إليها كثير من المتكلمين.

الإيجاز عند البلاغيين هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح[9]، وينقسم إلى قسمين، إيجاز قصر ، ويسمى " إيجاز البلاغة" ، ويكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، وإيجاز الحذف،

المنارة للاستشارات

ويكون قصر الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعض الكلام اكتفاء بدلالة القرائن على ما حذف.[10]

ويُعْتَمَدُ في إيجاز القصر على أمور ثلاث كلية:

1: اختيار الألفاظ والتعبيرات الكليّة، ذوات الدلالات العامّاتِ الشاملات.

2: الاستغناء عن التفصيلات بالأمثال والتشبيهات التي تدلُّ فيها الأشباه والنظائر على مقابلاتها.

3: الاستغناء بما تعطيه اللّوازم الفكريّة لعبارة، عن ذكر كلامٍ ذي دلالات مباشرات تَدُلُّ بالمطابقة على هذه اللَّوازم.

وسنطبق بعض هذه الحالات في أمثلة من القرآن الكريم فيما يأتي.

وأما إيجاز الحذف فينقسم إلى خمسة أقسام:

1: **الاقتطاع**، هو حذف بعض حروف الكلمة أو ما هو بمثابة الكلمة الواحدة، تخفيفاً على مخارج الحروف، أو لداعي السرعة، أو لأجل القافية في الشعر، أو الفاصلة في النثر، أو نحو ذلك.

2: **الاكتفاء**، هو أن يقتضي المقام ذِكْرَ شيئَيْنِ بينهما تَلازُمٌ وارتباط، فَيُكْتَفَى بأَحَدِهما عن الآخر لنكتةٍ بلاغيّة.

3: **التضمين**، هو تضمين كلمة معنى كلمة أُخْرى، وجَعْلُ الكلام بعدها مَبْنيّاً على الكلمة غير المذكورة.

4: **الاحتباك**، هو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل.

5: **الاختزال**، هو كلُّ حذف في الكلام لا يدخل في واحد من الأقسام الأربعة السابقة.[11]

المنارة للاستشارات

إن أي عبارة من كتاب الله تعالى إذا تأملتها، وجدت أنها وافية بالمعنى مع قلة الألفاظ، وقد يرجع ذلك إلى اختيار الألفاظ كمجيء الريب في قوله تعالى [**ذلك الكتاب لا ريب فيه**] البقرة 2، في مكان الشك، ولو استعملت كلمة الشك لاحتجت معها إلى كلمات أخر، وقد يرجع إلى سر التركيب والنظم، من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، مما لو احتاج متكلم إلى التعبير عن معناه؛ لاحتاج في كل آية أو جملة إلى أضعاف ما اشتملت عليه، وقد يكون الإيجاز ناشئا عن غير هذين السببين- أعني الألفاظ والتراكيب- وإنما يكون ناشئا عن حذف كثير من الجمل التي تعلم من طي الكلام، وهو معروف كثير في القرآن جدا.

وسنمثل للإيجاز والاختصار في القرآن الكريم بمثالين عن إيجاز القصر دون إيجاز الحذف، لأن الاختصار في الحذف متصور بخلاف الذكر، أذكر مثالين عن في المفردة القرآنية [الألفاظ]، ليظهر كيف أن الخطاب القرآني يستعمل مفردات تحمل معان لا تعوضها جمل، بَلْهَ أن تعوضها مفردات أخرى بنفس القدر من الدلالة على المعنى، ومثالين آخرين عن الآية القرآنية [التراكيب]، لآيتين كريمتين احتوتا مع قصرهما على معان كبيرة جدا.

1 – أمثلة عن الإيجاز في المفردة القرآنية:

أ – قال الله تعالى :

[**أتتركون فيما ههنا آمنين، في جنات وعيون، وزروع ونخل طلعها هظيم**] الشعراء146-148

هذا خطاب من نبي الله صالح عليه السلام لقومه ثمود يهددهم بأنهم لا يمكن أن يبقوا دائما في النعيم العظيم الذي أسبغه الله عليهم إن هم بقوا مصرين على كفرهم وتكذيبهم بآيات الله تعالى، ومحل البحث من هذه الآيات الكريمات كلمة واحدة، وهي لفظة هضيم الواردة في النهاية، والتي أورد لها بعض المفسرين أربعة معاني، وهي التمر اليانع النضيج، أو المتهشم المتفتت، أو الرطب اللين، أو الراكب بعضه بعضا.

المنارة للاستشارات

فهذه كلمة واحدة في اللفظ لكنها دلت على معان كثيرة جدا، ولو بحث باحث عن مفردة أخرى تدل على كل هاته المعاني لأعياه البحث دون وصوله إلى المراد، هذا لو قدرنا أن لها أربعة معان فقط، فكيف إذا تبين لنا أن لها في كتب اللغة والتفسير قرابة عشرين معنى كلها محتمل مراد دال على كمال في التمر وحسن، ومن تلك المعاني[12]:

مشدوخ : وهو الكسر في التمر إذا كان رطبا.

مهَشَّم: وهو التفتيت في التمر إذا يبس وصار بسرا. وهذا والذي قبله دال على كمال النضج.

مُنْضَمٌ : من الضم وهو المجموع بعضه إلى بعض، وهو دال على الكثرة.

الرخو واللطيف، ويدلان على الطرواة والليونة التي ذكرها الطبري.

المرئ : وهو الهنيء، ومنه قوله تعالى « **فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** » النساء 4.

ناعم : وهو ما يشعر به عند المس.

منهضم : أي سهل الهضم وذلك لخفته.

رطبه بغير نوى: وما كان من دون نوى من أي ثمار فهو الأجود.

طلع نخله أنثى: وطلع الأنثى ألطف من طلع الذكر وأطيب.

دَانٍ من الأرض، قريب التناول: بخلاف العالي الذي لا يخلص إليه إلا بصعوبة.

الرَّخْص: وهو أول ما يخرج مبكرا من التمر ويكون عزيزا وغاليا.

مذنّب: وهو الذي نضج بعضه من قبل الذَّنب.

اللذيذ و الطيب: وهو وصف في الطعم والمذاق.

هاضم يهضم الطعام: أي أنه فوق كونه سهل الهضم في نفسه فهو مسهل لهضم غيره من المآكل.

المنارة للاستشارات

نضيد: كثير، وهذا تفسير بدلالة الالتزام، ومعناه بدلالة المطابقة المنظم والمرتب والمنسق، وهذا لا يكون إلا مع الكثرة، لاجتماع حبات التمر مرتبة على عودها.

وبهذا البيان يظهر أن مفردات القرآن تحمل في طياتها معاني كثيرة، توفر على المتكلم كثيرا من الكلام الطويل بلا طائل.

وقال الله تعالى في وصف النار ممتنا بها: [نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ] الواقعة 73.

بغض الطرف عن النكتة البديعة في تقديم الامتنان بالنار على ما يذكر بالآخرة وتأخير الامتنان بها فيما يفيد في الدنيا مع أنها متقدمة، لما كانت الآخرة أتم والفائدة فيها أهم، لأن ذلك من خصائص الأسلوب؛ فإن كلمةً واردةً في الآية جديرة بالنظر والتأمل، لأنها ومع أنها لفظة واحدة فقد دلت على معاني واسعة جدا لا يمكن لمفردة غيرها أن تدل عليها، فتحقق الوفاء بالمعنى وزيادة مع أقصر لفظ وأقله.

ومع أن كثيرا من المفسرين يقتصر في تفسير كلمة " المقوين" على أنهم المسافرون والجائعون[13]، فإن كثيرا منهم ذكروا لها معان أخرى دقيقة جدا، توسع من دائرة الامتنان بها عن مجرد ذينك الصنفين من الناس، ومن ذلك:

- هم الباعة والمشترون الذين يضربون في الأرض للتجارة.
- هم السقاة يقتوون الدلو ليشربونه.
- هم الفقراء والأغنياء.
- هم الضعفاء والأقوياء.
- هم الذين قل كلؤهم بسبب قلة المطر.
- هم أصحاب المطايا القوية.
- هم الذين فني زادهم وماؤهم.[14]

قال البوطي (ت1434): ونظرا إلى أن القرآن إنما تَنَزَّلَ خطابا للناس جميعهم، فإن الكلمة القرآنية تنطوي على دلالات متعددة، تستجيب للظروف كلها ولأحوال الناس كلهم،

المنارة للاستشارات

ومكان الغرابة والعَجَب أن تلك الدلالات لا تتناقض على الرغم من اختلافها، وجميعها صادقة صحيحة لا تنسخ واحدة منها الأخرى، وأنت لو حاولت أن تلتقط من اللغة كلمات مرنة غنية بهذا الشكل؛ لرأيت أن الأمر يحتاج إلى جهد عظيم لا يمكن أن ترقى إليه طاقة البشر مهما أوتوا من قوة الحفظ وسموّ البيان.

ومن الأمثلة على ذلك أن القرآن حدّثنا عن مظاهر نعم الله على عباده، ومن جملتها النار، فنبّهنا إلى مختلف فوائدها لحياتنا، وأوضح أنها متاع يُحْتَاجُ إليه في حالات السفر واجتياز القفار، ولتحضير الطعام، ولما وراء ذلك من أسباب المتعة والرفاهية، فهل يطيق بشر كائنا من كان؛ أن يخضع اللغة لمقاصده هذا الإخضاع العجيب، فيحشد مثل هذه المعاني المتباعدة في كلمة واحدة، تأتي طوع قصده ومراده، بدون أي تمحّل أو تكلف أو تقعر؟[15].

2 - أمثلة عن الإيجاز في التراكيب القرآنية:

المثال الأول :

قال الله تعالى في شأن اليهود: " **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين، ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون** " **البقرة: 91-92**.

هذه الآية القصيرة التي قد تظهر معانيها بسيطة تحمل – على اختصارها – ما لا يتوقف المرء من التعجب عند سماعه، وتؤكد أن القرآن الكريم يستثمر أقل قدر ممكن من اللفظ، في أكبر قسط من المعنى، وخير من جلى هذا الأمر أظهر جلاء وبينه أبدع بيان فيلسوف القرآن محمد عبد الله دراز في كتابه العظيم النبأ العظيم، وهو كلام طويل سنجتهد – ونحن بصدد الحديث عن الإيجاز – في اختصاره قدر الإمكان آملين ألا يكون في ذلك إخلال بما فيه من حسن السبك ودقة الإحكام.

المنارة للاستشارات

في هذه الآية نصيحة لليهود للإيمان بالقرآن وردهم لها من وجهين والرد عليهما من وجوه.

قال الناصح لليهود: [**آمنوا بما أنزل الله**] أي:

آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة لأن مصدرهما واحد وهو الله، ولم يسم القرآن باسمه، وإنما نسبه إلى مصدره جمعا بين الدعاء إلى الشيء وحجته.

ولا ذُكر من أنزل عليه وهو محمد ﷺ، لأنه لا يتعين في الإلزام من جهة، ولئلا يثير أحقادهم ويخرج أضغانهم من جهة أخرى، فيحصل نقيض القصد من التأليف والإصلاح، وللإشارة إلى أن الإسلام ليس دين تفريق وخصومة، بل هو جامع في الدعوة إلى الإيمان بالأديان من جهة ثالثة.

كان جواب اليهود [نؤمن بما أنزل إلينا]

أي نؤمن بالتوراة لأن الله أنزلها علينا بخلاف القرآن فلكم قرآنكم ولنا توراتنا، ولم يذكر المُنزل إمعانا في الإيجاز ولأنه تقدم من قبل.

وبين أن معنى قولهم: الكفر بما أنزل على غيرهم، لكنهم لم يصرِّحوا به لشناعته، ولذلك أبرزه القرآن غير داخل في مضمون كلامهم، بل في معرض الشرح والتعليق على مقالتهم فقال [**ويكفرون بما وراءه**] فحصل المقصود الملجم مع تحري غاية الأمانة في النقل، مع ما في اختيار لفظة " وراءه" أي وراء التوراة من تعميم لأنه يشمل الإنجيل والقرآن، وتحديد لأنه لا يدخل ما قبله من صحف ابراهيم مثلا.

ثم جاء الرد من أوجه أولها [**وهو الحق مصدقا لما معهم**]

وهو الحق: يفترض أن إيمانهم – مع التسليم به - يحملهم على الإيمان بالحق الذي في القرآن إذ لا تعارض بين حق وحق.

المنارة للاستشارات

مصدقا: ثم ليس هو حق في شأن مختلف عن كتابهم، بل هو حق مصدق للحق الذي ادعوا الإيمان به، والمعنى أنهم ليسوا مؤمنين حتى بما أنزل إليهم أيضا.

لما معهم: وليس هذا الحق بمصدق لكتب حرفت أو ضاعت حتى يكون لهم عذر في تكذيبه إذ لا تطابق، بل هي كتب بين أيديهم يدرسونها في زمنهم.

وبعد هذا الرد المجمل لتكذيبهم بالقرآن عاد إلى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم فأوسعها

إكذابا وتفنيدا، وبين أن كفرهم بمحمد ﷺ مرض مزمن ما هو إلا حلقة من حلقات سلسلة جحودهم، ولئن كان الرد الأول لم يؤخذ بطريق مباشر من واقع أحوالهم، فإنه جاء ممهدا للرد الثاني المأخوذ من شواهد تاريخهم الفضيع الذي لا يسعهم إنكاره [**قل فلم تقتلون أنبئاء الله من قبل إن كنتم مؤمنين؟**] البقرة 92.

وعَدَلَ عن إسناد القتل واتخاذ العجل إلى فاعله الحقيقي وهو آباؤهم ونسبها إليهم لئلا يتحججوا بألا تزر وازرة وزر أخرى، ولو ذكرهم وقال وأنتم مثلهم، لكان تداركٌ بعد الفوات وفتور في قوة الرد، فكان ذلك مسرعا بتسديد الضربة إليهم، مُنَبِّهًا لهم على أنهم مجرمون مثل آبائهم، ذرية بعضها من بعض، وعبر عن قتل الأنبياء بالمضارع تصويرا لهم الآن بصورة القوم الملطخة بالدماء أيديهم في الواقع.

ولأن ذلك قد يدخل بابا من الوحشة على نبيه وطمعا لأعدائه بالنيل منه احترس عن ذلك كله بقوله " **من قبل** " فقطع بكلمة واحدة دابر أطماعهم وثَبَّتَ قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم.

ثم عبر عن جرائمهم بالفعل الماضي [**ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل**] حسب وقوعها تاريخا حين لم تبق حاجة للتعبير الأول، ولأن الشرك جريمة أغلظ من سابقتها وأنكر لم يذكر المفعول الثاني استبشاعا أن يذكر عجل بصحبة إلاه لما بينهما من عظيم المفارقة.

المنارة للاستشارات

ومع هذا الإبداع كله فإن في الكلام إيثار للإجمال طويت بسببه كثير من التفاصيل التي لا تمس إليها حاجة البيان:

فلم يذكر حد التصديق الذي بين الكتب ومقداره لأن ذلك من شأن علماء التشريع، ولا ذكر الأنبياء المقتولين لأن ذلك يبحثه علماء التاريخ، ولا ذكر البينات ولا عددها، ولا على أي شيء كان الميثاق المأخوذ، لأن حكمة البيان القرآني المبنية على الإيجاز المعجز لأجل من أن تعرض لمثل هذه التفاصيل في مثل هذا الموضع.

ومع شنيع فعلهم وقبح تصرفهم الذي لو كان الرد عليهم فيه من كلام الناس لكان مصحوبا بانفعال ورغبة في الظفر تصف جرائمهم بما يلائمها من القدح الذي لا يشبع صاحبه إلا إذا جاء في كلام كثير، فإن الإيجاز المعجز لم يزد عن وصف القرآن بالحق، ووصف قتل الأنبياء بالظلم والإشراك بالله بالصنيع السيء.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ " البقرة: 91-92.

وهذه ثلاثة آيات من سورة آل عمران وهي سورة مدنية جاء فيها تفصيل لغزوة أحد التي بدأت بنصر كبير للمسلمين لتتحول إلى هزيمة مرة قتل على إثرها سبعون من خيرة الصحابة، الأمر الذي ترك أثرا كبيرا في النفوس، فجاءت هذه الآية الكريمة بلسما يضمد الجراح، مبينة أن هؤلاء الموتى أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ومستبشرين بإخوانهم الذين سيأتون من بعدهم.

المنارة للاستشارات

هذا هو المعنى الذي يظهر لأول وهلة، لكن التأمل في أجزائها يظهر أسرارا عجيبة عبر عنها الله تعالى بأقصد لفظ وأوجزه محققا أبعد معنى وأفخمه تأكيدا لميزة الإيجاز المعجز الذي أودعه الله كتابه الكريم، وبيان ذلك كالآتي:

[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا]

هذا نهي للنبي عليه الصلاة والسلام أو لكل من يصح أن يوجه له الخطاب، عن أن يُظن أن المقتولين في سبيل الله أموات، وبالأحرى نهي عن الجزم بذلك أو اعتقاده أو قوله كما في البقرة.

وكان يمكن أن يقال " المقتولون في سبيل الله " لكنه جاء باسم الموصول اشارة إلى أن التضحية في سبيل الله صارت صفة لازمة لهم حتى عرفوا بها، وأثبت لهم ببيان قتلهم موتا ظاهرا مع أن السياق في إثبات حياتهم، لأن العبرة بالحياة الحقيقية التامة وهي ثابتة لهم، فهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح كما سيأتي.

وكان يمكن أن يقول " ولا تحسبن الشهداء أمواتا " لكنه بذلك كان سيفوت فوائد جليلة:

الأولى: أن سبيل الله يشمل سبيل الحق عموما، سواء أكان ذلك في ميدان القتال، أم كان في ميدان الدعوة إلى الله، وقد قال النبي - ﷺ -: " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " ولا قتال فيه.[16]

الثانية: أن إزهاق النفس في غير سبيل الله لا يترتب عليه الجزاء المذكور.

الثالثة: في إبراز كلمة القتل ابتداء إطماع للمشركين والمنافقين الذين ينظرون إلى المقتولين نظر شماتة وتشفّ، في حين ينظر إليهم إخوانهم المؤمنون نظرة حزن وأسى بسبب الميتة التي ماتوا عليها، وهكذا يصيب أسلوب الإضراب " **بل أحياء**" المحز فيضرب أطماع الكفار في مقتل، ويحولها إلى كبت وحسرة، ويطمئن المؤمنين على مصير أحبابهم.

المنارة للاستشارات

وقرىء "لا يحسبن" بالغيبة وله فائدة، لأنه يجوز حينئذ أن يكون الذين قتلوا فاعلا، ويكون التقدير: ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا، ويكون هذا تطمين لمن هو متردد في الجهاد في سبيل الله متخوف منه، [17] وهذه المعاني الكثيرة الواسعة التي تحتاج كلاما طويلا لم يتطلب لها النظم القرآني سوى كلمات يسيرة.

بَلْ أَحْيَاءٌ

وحتى لا يطول طمع الكفار ويأس المؤمنين؛ فإن الحياة المفهومة من نفي الموت الذي في صدر الكلام أُكدت تأكيدا سريعا بالمنطوق عن طريق الإضراب " **بل أحياء**" مع نفي الخبر فلم يقل **بل هم أحياء**،

ولأن الذي يزيل الحسبان المنهي عنه هو كونهم أحياء في الحال. [18]

عِنْدَ رَبِّهِمْ : فهم ليسوا أحياء في أي مكان، وليسوا في دار هوان ولا مذلة ولا ظلام، وليسوا في مكان يمكن وصفه، بل أحياء عند ربهم، وهذا أبلغ مكان يمكن أن يتصوره إنسان.

يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

هم أحياء وعند ربهم، لكنهم لا يحييون حياة باهتة، بل هم في حياة قوية كاملة، [19] وقد يسأل سائل عن حالهم في حياتهم تلك فجاء الجواب بأنهم منعمون، وقد يخطر على البال هل هذا النعيم حسي أو معنوي فجاء الجواب أنهم منعمون بهما معا، فالنعيم الحسي " يرزقون" والنعيم المعنوي "فرحين".

وانظر كيف أطلق مفعول الرزق ليدل على سعته وعمومه، وعبر عنه بالمضارع ليدل على

تجدده وعدم انقطاعه، وبالمقابل فقد عين سبب الفرح وإن كان واسعا أيضا لمَّا كان سببه متعلقا بالله تعالى، وعبر عنه بالماضي لأنه فرحٌ كامل أبدا من البداية لا يتعدد ولا يتجدد.

المنارة للاستشارات

وعينه بقوله " **بما آتاهم الله من فضله**" ليدل على أن فرحهم ليس بسبب حصول الرزق، بل بسبب كونه آت من عند ربهم،[20] ولعل ذلك هو سبب إيثار لفظ [ربهم] عن لفظ [الله] الذي صدر به الكلام كأنه مختص بهم لا يشاركهم فيه غيره.

وفيه تأكيد لحياتهم لأنه بمعنى أنهم يُرْزَقُونَ رزقا حقيقيا كما يرزق الأحياء، لا معنويّا على حد ادعاء أنهم أحياء بحسن الذكر وطيب الثناء، كما يقال " من خلف مثلك ما مات "[21]

وما يشد النظر ويستوقف صاحبه كثيرا أنه عد عطاءه محض تفضل منه سبحانه وتعالى لا مقابل ما أنجزوا وقدموا، مع عظيم فعلهم من جهة أنهم قدموا أرواحهم في سبيل الله، لأن الله هو الذي وفقهم للشهادة وساق إليهم الكرامة وفضلهم على غيرهم فعجل لهم الثواب قبلهم،[22] فالمقابل أرباح طائلة والذي قدموه شيء يسير جدا.

ثم انظر إلى فضله كيف سبقه ب "من " التي من معانيها التبعيض ليؤذن بأن هذا بعض فضله عليهم سبحانه لأن الفضل الأتم الأكمل سيكون يوم القيامة لهم ولإخوانهم من المؤمنين.[23]

ثم قال تعالى :

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،

هذا بيان آخر لما ينالهم من الفرح والسرور، وصيغة السين والتاء الدالة على الطلب مؤذنة أنهم يطلبون البشرى بالسؤال عن إخوانهم الذين يقاتلون في الدنيا فيطمئنون بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فتتأكد بشارتهم ويقوى سرورهم.

فهم تأتيهم التقارير صباح مساء عن كل نجاحات في العمل للإسلام وعن كل تقدم في هذا الدين،

المنارة للاستشارات

ويُطَمْأَنُونَ بأن الباقين مهما قلوا ومهما ذلوا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأن الله لن يسلط على هذه الأمة عدوا يستأصل شافتها، فلا بد أن يبقى الناصرون لهذا الدين، ولا بد من بقاء طائفة منصورة.

كما أن السياق يحتمل أن الحزن والخوف منفيين عن هؤلاء الأحياء في الآخرة، والمعنى أنهم لما أمنوا من الاشتغال بالخوف والحزن على أنفسهم تطلعوا إلى النظر في حال إخوانهم الذين يقاتلون في سبيل الله ولما يلحقوا بهم، ويحتمل ألا يكونوا المقاتلين في سبيل الله فقط بل كل المؤمنين، الذين لم يلحقوا بهم في نفس الزمان، أو الذين لم يلحقوا بهم في فضل الجهاد وإن كانوا مشتركين في الفضل عموما، لأن مجرد بقائهم في الدنيا فيه نكاية لأعداء الله تعالى، وإن كانوا متلهفين للقائهم والاجتماع بهم، ومعناه أوسع، وفائدته أكثر، واللفظ يحتمله. (24)

وبعد أن بين نعيمهم الذي نالوه بجهادهم، أثنى على أخلاقهم بطريقة خفية بديعة وهو يعدد في نوالهم، فأخبر أن استبشارهم - بصلاح حال إخوانهم في الدنيا أو بما سينالونه من فضل مثلهم في الآخرة – كان أتم وأسبق من استبشارهم بسعادة أنفسهم، فجمع الله لهم بين المسرة بأنفسهم والمسرة بمن بقي من إخوانهم.

وفيها تأكيد آخر لحياتهم عند ربهم، فالقوم الذين لم يلحقوا بهم لا بد وأن يكونوا في الدنيا، واستبشارهم بمن يكون في الدنيا لا بد وأن يكون قبل القيامة، والاستبشار لا يكون إلا مع الحياة، فدل على كونهم أحياء قبل يوم القيامة. (25)

ثم قال سبحانه : **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**

هذا إما أن يكون عائدا للشهداء فيكون تأكيدا للأول، أو لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن، بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقدر قدرها مقدر، وهي

المنارة للاستشارات

ثواب أعمالهم، مع جواز أن يكون الأول متعلقا بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم، ومهما يكن من أمر ففيه نوع بيان لبعض ما

أجمل في قوله تعالى **فرحين بما آتاهم الله من فضله**.[26]

وهنا ذكر النعمة والفضل دون تبعيض لأنه الفضل الإلاهي الكامل الذي يكون يوم القيامة.

فانظر لهذه الآيات القصيرة التي لم تَجْمَعْ إلا أسطرا قليلة كيف احتوت على تللك المعاني الواسعة في إيجاز يعجز عنه البشر.

وإذا كان هذا الأسلوب البديع في الإيجاز معجز للبشر، الذين لا يمكنهم أن يدانوه فضلا عن أن يجاروه، فإنه ينبغي لكل متعامل مع النص القرآني أن يستغله ويقتبسه في أسلوبه الكتابي والخطابي، وهذا يتحقق بأشياء منها:

1- المداومة على تلاوته وقراءته آناء الليل وأطراف النهار قراءة سريعة وقراءة تأمل وتدبر.

2- محاولة النظر في التفاسير التي انبرى أصحابها إلى الاجتهاد في كشف بعض مجال ثراء المعنى في الخطاب القرآني.

والدليل على أن ذلك ممكن هو أن النبي ﷺ ذكر بعض الأساليب القرآنية بطريقة تحفز على محاولة الاقتداء بها والسير على سننها.

ولنضرب على ذلك مثالا بمسألة اعتماد الإيجاز لتحقيق عفة العبارة وبعدها عن البذاءة، وهو وارد في الخطاب القرآني الذي حث عليه النبي الصلاة والسلام وصحابته من بعده على ضرورة الاستفادة منه في تضاعيف الكلام، وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال ابن عباس [**الدخول والتغشي والإفضاء والمباشرة والرفث واللمس هذا الجماع غير أن الله حيي كريم يكني لما شاء بما شاء**][27]

المنارة للاستشارات

ولننظر إلى تعبيرات القرآن عن إتيان الرجل أهله:

فلا **رفث** .. أو **لامستم** .. فاتوا **حرثكم** .. فالان **باشروهن**، فلما **تغشاها** .. حتى **تنكح** زوجا غيره .. **وابتغوا** ما كتب الله لكم ... اللاتي **دخلتم** بهن ... وقد **أفضى** بعضكم إلى بعض

ثم انظر إلى وصفه سبحانه وتعالى إلى المتمتع بالنساء خارج إطار الزواج أو ملك اليمين بقوله [فمن ابتغى وراء ذلك] كيف جمع كل أشكال الانحراف الجنسي بكلمة واحدة مهذبة.

وهذا يشبهه قوله تعالى عن عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام: [**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام**] المائدة 75، فإن في الكلام إيجاز بديع تقديره: ويطرحانه، وهو آكد في الدلالة على بيان الضعف والآدمية، ولكنها عبارة القرآن التي تختصر الكلام تعويلا على ما استقر من فطنة في الأفهام.

الخاتمة:

متى ما أراد المتكلم تلقين المخاطب وإفهامه شيئا ما؛ تعين عليه أخذ قدر لا بأس به من التدابير والإجراءات اللازمة، فيأخذ للأمر عدته، ويمضي عهده إلى مدته، وكلما كان الكلام المراد إفهامه طويلا كلما احتاج إلى ألفاظ كثيرة، لأن العادة في الكلام إذا أراد صاحبه أن يضمنه معان كثيرة واسعة فماعليه إلا أن يكثر الكلام ويطنب فيه، ، وهذا في خطاب البشر صحيح لكنه لا يصح في خطاب الله تعالى ، بل عكسه هو الصواب.

فكلما قصرت العبارات كلما تنوعت المعاني وكثرت، ومن أجل ذلك كان من اللازم على كل مسلم مثقف مهتم بأمور العربية يجعل هذا النص المقدس من نصوص العربية نصب عينيه يقرؤه آناء الليل وأطراف النهار حتى يكتسب نزرا يسرا من نكته ولطائفه.

المنارة للاستشارات

المراجع والهوامش.

1- الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن – القاهرة.

2- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط3، 1426 هـ، 2005.

3- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ط1، 1376هـ - 1957م.

4- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 1426هـ - 2005م.

5- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية؟

6- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، بيروت.

7- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت.

8- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1416 هـ - 1996 م.

9- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ

المنارة للاستشارات

10- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م،

11- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419 هـ - 1998 م،

12- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تح/ صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

13- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي ، تح/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1419 هـ - 1998م .

14- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984 هـ.

15- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 3، 1407 هـ.

16- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

17- معالم التنزيل في تفسير القرآن [تفسير البغوي]، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تح/ محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417هـ - 1997 م.

18- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تح/أبو محمد بن عاشور، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – ط1، 1422،هـ - 2002 م.

19- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن السمعاني التميمي ، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ، ط1، 1418هـ- 1997م.

20- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 1996.

21- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي ، تح/ مجموعة رسائل جامعية

المنارة للاستشارات

بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م.

22- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، تح /السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت .

23- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن بن أحمد، الزمخشري ، تح/ علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط2 .

24- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى ، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ

25- من روائع القرآن- تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل-، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999.

26- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة (642/2).

27- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط3- 1420 هـ

28- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990م.

29- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

30- تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تح/: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت , عمان – الأردن، ط1، 1405(406/4)

المنارة للاستشارات

[1]الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن – القاهرة، (ص: 9)

[2] مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط3، 1426 هـ، 2005، ص46-47.

[3]البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ط1، 1376هـ - 1957م، 106/2.

[4]النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 1426هـ - 2005م، ص 284.

[5]ولقد وازن الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) بين كلام الله وبين كلام العرب، فذكر فروقا مهمة منها :

أولا: ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة على هذا القدر من الطول، وما نُسب من الفصيح لحكيمهم فكلمات معدودة، ولشاعرهم فقصائد محصورة.

المنارة للاستشارات

ثانيا: المعاني التي جاء بها القرآن اتسقت في أسلوب بديع يتعذر على البشر، وهي معاني مبتكرة غير متداولة؛ وفيها من الصعوبة ما ليس في غيرها من المعاني المتداولة، لكن القرآن يعرضها بنسق بديع لا يستطيع البشر أن ينسقوا على منواله مع المعاني المتداولة فضلا عن المبتكرة التي جاء بها القرآن الكريم.

ثالثا: تأمل موقع الآية القرآنية حين يُتمثل بها في تضاعيف الكلام؛ يظهر فضل القرآن على سائر الكلام، فالآية في الخطبة هي غرتها، وواسطة عقدها، تنادي على نفسها بالتميز والاختصاص وبالرونق والجمال.

ينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية،(30/1).

(6) النبأ العظيم، ص 151

(7) الإعجاز والإيجاز (ص: 5)

(8) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، بيروت، (ص: 236)

(9) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص197.

(10) جواهر البلاغة، ص 198، البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1416 هـ - 1996 م،(236/2).

(11) البلاغة العربية،(57/2)، ولكل واحد من هذه الأقسام أمثلة كثيرة يطول المجال بذكرها، لكنني سأكتفي بمثال واحد عن الاحتباك ليعلم كيف يكون الإيجاز بالحذف ذريعة لمعاني قرآنية بديعة:

قال الله تعالى [**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ...] الحجرات 14، في هذه الية احتباك بديع، إذ الأصل:

المنارة للاستشارات

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا - فلا تقولوا آمنا- ولكن أسلمتم- فقولوا أسلمنا ، فحذف من الأول " لا تقولوا ’منا" لئلا ينهاهم عن أمر محبوب مطلوب، وحذف من الثاني: ولكن أسلمتم " لئلا يثبت لهم إسلاما مشبوها مغشوشا.

محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ

(12) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، مادة "هضم".

أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419 هـ - 1998 م، مادة "هضم"، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تح/ صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، ص842، اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي ، تح/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1419 هـ -1998م ، 64/15، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984 هـ، 175/19.

(13) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 3، 1407 هـ: 37/6. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، 221/17، معالم التنزيل في تفسير القرآن [تفسير البغوي]، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تح/ محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417هـ - 1997 م: 21/8، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تح/أبو محمد بن عاشور، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – ط1، 1422،هـ - 2002 م، 211/9، تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن السمعاني التميمي ، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ، ط1، 1418هـ-

المنارة للاستشارات

1997م: 357/5، تهذيب اللغة، " باب لفيف حرف القاف". لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى ، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ: مادة "قوا".

(14)التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 1996، ص 110، ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي ، تح/ مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م : 7288/11، النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، تح /السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت ،

: 461/5، تفسير السمعاني : 357/5، ، المفردات في غريب القرآن: ص 694 ، الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو

القاسم محمود بن بن أحمد، الزمخشري ، تح/ علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط2، : 233/3، لسان العرب، مادة "قوا".

(15)من روائع القرآن- تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل-، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999، ص 142.

(16)زهرة التفاسير (1501/3)

(17)الكشاف (1/ 439).

(18)اللباب في علوم الكتاب (6/ 48)

(19)التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة (642/2).

(20)مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط3- 1420 هـ (430/9)

المنارة للاستشارات

[21]الكشاف (439/1)، محاسن التأويل (456/2)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990م، (192/4)

[22]الكشاف (439/1)

[23]اللباب (50/6)

[24]تفسير المنار (193/4)

[25]اللباب في علوم الكتاب (48/6)

[26]تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، (113/2)

[27]تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تح/: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت , عمان – الأردن، ط1، 1405(406/4)

المنارة للاستشارات